نرى أن المغالاة فى القول بالاختيار قد دفعت إلى مغالاة فى القول بالجبر.

فقام (الجعد بن درهم) ت حوالى ١١٨ هـ و (جهم بن صفوان) ت ١٢٨ بالرد على الاختياريين ، وتأسيس فرقة (الجبرية) أو (الجهمية) نسبة إلى جهم بن صفوان .

* * *

١٠ – بذلك يكون قد ظهر فى البيئة الإسلامية خمس فرق : الثلاثة الأولى حول قضية الخلافة .

والرابعة والخامسة حول قضية الجبر والاختيار .

والتمس أتباع كل فرقة فى القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ما يؤيد مذهبهم بالحق أو بالباطل ، ويدحض مذاهب مخالفيهم .

وكانت الفرق مرتعاً خصباً لمن لا يُضْمِرُ خيراً للإسلام ، ينشر من خلالها الآراء التى تُشَوِّه صفاء العقيدة الإسلامية ، وخاصة بعد أن اتسعت الفتوحات الإسلامية، ودخل فى الإسلام من لا يجيد لغة القرآن الكريم ، ولا يتذوق لسان من أوتى جوامع الكلم ﷺ .

وكان من الموضوعات التى ثار حولها الجدل : (صفات الله تعالى) :

وردت آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ربما أوهم ظاهرها المشابهة بين الله وخلقه فى ذاته أو صفاته جل فى علاه .

كما وردت آيات وأحاديث أخرى تنزه الله عن ذلك .

أما أصحاب الإيمان الحق ، فَغَلَّبُوا آيات وأحاديث التنزيه ، وآمنوا بآيات وأحاديث الصفات ، وأمرُّوها كما جاءت .

وأما الذين فى قلوبهم زيغ ، فشبَّهوا ذات الله بذات غيره ، أو شبَّهوا صفاته بصفات خلقه ، وعُرِفَ أصحاب هذا الاتجاه بـ (المُشَبِّهة) وكان لأعداء الإسلام دورهم فى إشاعته بين المسلمين على يد رواة الأعراب ، وبسطاء الموالى الآخذين من

النحل السابقة فجوزوا على الله الحركة والانتقال ، والحد ، والجهة ، والاستقرار ، والقعود ، والإقعاد ، و غير ذلك مما يتنزه الله عنه .

* * *

١١ – وكان علماء أهل السنة يجلسون فى المساجد ، يُعَلِّمون الناس العقيدة الصحيحة ، ويردون على الشبهات التى يثيرها أهل الأهواء ، ومن هؤلاء الإمام التابعى (الحسن البصرى) ٢١–١١٠هـ الذى أحبه الناس لجلالة علمه وعظيم ورعه ، واحتشدوا حوله فى مسجد (البصرة) يسألونه ، ويستفتونه، وله رسالة فى القدر طبعت أخيراً .

وتكلم عنده يوماً بعض دهماء الرواة بأخبار التشبيه والتجسيم . فقال : ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة أى طرفها ، فسموا (الحشوية) .

ودخل عليه رجل أثناء الدرس يقول له : يا إمام الدين ، ظهر فى زماننا جماعة يكفرون مرتكب الكبيرة ، وهم الخوارج ، وجماعة يرجئون الحكم عليه وهم المرجئة ؟

وقبل أن يتكلم (الحسن البصرى) إذا أحد تلاميذه وهو (واصل بن عطاء) ٨٠–١٣١ هـ يجيب قائلا : « أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ، ولا كافر مطلق . بل هو فى منزلة بين المنزلتين » أى الإيمان والكفر.

واعتزل (واصل) حلقة (الحسن البصرى) فسُمِّى هو ومن تبعه بـ (المعتزلة) .

ومن كتب (واصل) التى سجلها له التاريخ : (أصناف المرجئة) و (معانى القرآن) و (المنزلة بين المنزلتين) و (طبقات أهل العلم والجهل) وغيرها .

وكان زميله (عمرو بن عبيد) ٨٠–١٤٤ هـ عالماً زاهداً شجاعاً فى الحق يقال إنه صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين عاماً . ومن كتبه : (الرد على القدرية) و (كتاب فى العدل والتوحيد) .

وقد أبلى المعتزلة بلاء حسناً فى الدفاع عن عقائد الإسلام ضد الهجمات الشرسة

كما أن الخلفاء استعانوا باليهود والنصارى فى إدارة شئون الدولة لخبرتهم، وجهل المسلمين بعلوم الإدارة .

فقد كان (سرجون بن منصور) الرومى النصرانى كاتباً لسيدنا معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وخدم (يحيى الدمشقى) الأمويين زمناً . وهو قديس نصرانى ، له كتبه وفكره .

وكان يزيد بن معاوية يعتمد فى الرد على خصومه على (الأخطل) الشاعر، وهو رجل نصرانى .

وكانت المناظرات تُدار بين علماء المسلمين ، وبين النصارى . وبعضها عُقِدَ فى مجالس الخلفاء .

وكان للفُرس وجودهم الواضح على الساحة : فكثرت المناظرات بين المسلمين وبين (السُّمَنِيَّة) و(الثنوية) . وقد ناظر عمرو بن عبيد (جرير بن حازم الأزدى) وهو من السُّمَنِيَّة ، واشترك واصل بن عطاء مع عمرو بن عبيد فى مناظرة (بشار بن برد)و(صالح بن عبد القدوس) وهما من الثنويَّة .

* * *

١٤ – ونعود إلى المعتزلة وإلى حلقاتهم العلمية ، لنلتقى مع أحد مشايخهم الكبار ، وهو (أبو على الجبائى) ٢٣٥–٣٠٣ هـ فقد جلس يُدَرِّس فى المسجد عقيدة من عقائدهم ، وهى القول بوجوب فعل الصلاح والأصلح على الله تعالى للعبد ، فتقدم أحد تلاميذه . وهو الإمام (أبو الحسن الأشعرى) ٢٦٠–٣٣٠هـ وسأله عن ثلاثة إخوة : مات أحدهم كبيراً مطيعاً ، والآخر كبيراً عاصياً ، والثالث صغيراً ؟

فقال الجبائى : الأول يثاب بالجنة ، والثانى يعاقب بالنار ، والثالث لا يثاب ولا يعاقب .

فقال له الأشعرى : فإن قال الثالث : يارب لِمَ أمتّنى صغيراً . وما أبقيتنى فأطيعك ، فأدخل الجنة ؟ ماذا يقول الرب ؟

قال الجبائى : يقول الرب : إنى أعلم أنك لو كبرت عصيت ، فتدخل النار، فكان الأصلح لك أن تموت صغيراً .

فقال الأشعرى : فإن قال الثانى : يارب لِمَ لَم تمتنى صغيراً ، فلا أدخل النار ماذا يقول الرب ؟

فبهت الجبائى .

هكذا انهار مذهب المعتزلة أمام الأشعرى وأمام الحاضرين ، مما جعله يعيد النظر فى كل الآراء الاعتزالية التى عاش معها أربعين سنة من عمره .

ويقال : إنه رأى رسول الله ﷺ فى المنام ثلاث مرات ، يطلب منه أن ينصر سنته .

فقام بإعادة النظر فى الأحاديث النبوية التى أوّلها المعتزلة . وبدأ بأحاديث شفاعة النبى ﷺ ، وأحاديث رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة فأثبتها . وتوصل إلى منهج وسط فى دراسة أمور العقيدة . لا يهمل فيه النص، ولايجرى وراء شطحات العقل ، فتوسط بين المشبهة الذين يأخذون النصوص بلا فهم ، وبين المعتزلة الذين أطلقوا للعقل العنان فى تأويل النصوص أو ردِّها .

فوحَّد كلمة الأمة ، وألَّف الأشعرى كتباً كثيرة عرض فيها مسائل الإيمان ، وردَّ على مذاهب المخالفين لعقيدة أهل السنة . منها : (الإبانة عن أصول الديانة) و(اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع) و (مقالات الإسلاميين) و (رسالة فى الإيمان) و (إمامة الصدِّيق) و (الرد على المجسِّمة) و (استحسان الخوض فى الكلام) وغيرها .

حتى لايظل الذنب شبحاً يهدد الإنسان ، فيشل حركته ، ويميت نشاطه . من هذه الوسائل:

١ - الاستغفار : وهو طلب المغفرة من الله تعالى . قال عزوجل : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ النساء

وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ آل عمران

٢ - التوبة : وهى الندم على فعل الذنب ، والحزن على ارتكابه ، والعزم على ترك معاودته ، ورد الحقوق إلى أهلها إن أمكن ذلك . قال تعالى : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ﴾ المائدة: ٣٩

وقال : ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ طه

والاستغفار والتوبة إذا اجتمعا افترقا . وإذا افترقا اجتمعا.

فإذا اجتمعا ، كان المقصود بالاستغفار طلب مغفرة مامضى من الذنوب ، والمقصود بالتوبة طلب وقاية شر مايخافه فى المستقبل من المعاصى . كما فى قوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ هود

أما إذا ورد أحد اللفظين دون الآخر . فإنه يشمل كل منهما معنى الآخر. كما سبق.

٣ - فعل الحسنات : قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ هود/١١٤

وقال ﷺ : « وأتبع السيئة الحسنة تمحها »[1]

٤ - مصائب الدنيا: إذا تلقاها المسلم بالصبر الجميل . قال ﷺ : « ما يصيب المؤمن من وَصَب ولانَصَب ولاسَقَم ولاحَزَن . حتى الهمَّ يُهِمُّهُ إلا كُفِّرَ به من سيئاته»[2].

وقال ﷺ : « ومايزال البلاء بالعبد ، حتى يمشى على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة »[3].

تعريف الكبيرة :

الكبيرة : هى الذنب الذى فيه حد فى الدنيا ، أو توعد بالنار أو اللعنة أو الغضب.

ومثالها الأمور المذكورة فى قوله ﷺ :« اجتنبوا السَّبْعَ الموبقات . قيل: يارسول وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرَّم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »[4].

وقد أوصلها الحافظ الذهبى إلى سبعين كبيرة فى كتابه (الكبائر).

حكم مرتكب الكبيرة عند أهل السنة :

يرى أهل السنة أنَّ مرتكب الكبيرة مؤمن عاص ، وأنه إن تاب عنها ، تاب الله عليه ، وإن مات بدون توبة ، فأمره مُفوَّض إلى الله : إن شاء عذبه ، وإن شاء عفا عنه تفضيلاً منه . وقالوا : لايُخلد فى النار من أهل التوحيد أحد.

---

(١) رواه الترمذى فى البر والصلة ٣٥٥/٤
(٢) رواه مسلم فى بر والصلة ١٩٩٢/٤ والوصب: الوجع اللازم. ومنه (ولهم عذاب واصب) أى لازم ثابت . والنصب : التعب . و(يهمه) بضم الياء وفتح الهاء ،أوالعكس.
(٣) رواه أحمد فى مسنده ١٧٢/١ (٤) رواه مسلم فى كتاب الإيمان ٩٢/١

كما أن فناء الأشياء — كما نراه — يدل على أنها مخلوقة ؛ لأن الأزلى لايفنى، ويقاس عليها مثيلاتها من الممكنات الموجودة ، فهى قابلة للفناء أيضاً ، فهى مخلوقة.

يقول (جون كليفلاند كوثران) رئيس قسم العلوم الطبيعية بجامعة دولث:

« تدلنا الكيمياء على أن بعض المواد فى سبيل الزوال أو الفناء ، ولكن بعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة ، والآخر بسرعة ضئيلة ، وعلى ذلك فإن المادة ليست أبدية ، ومعنى ذلك أيضاً أنها ليست أزلية ؛ إذ أن لها بداية ، وتدلنا الشواهد من الكيمياء وغيرها من العلوم على أن بداية المادة لم تكن بطيئة أو تدريجية ، بل وجدت بصورة فجائية ، وتستطيع العلوم أن تحدد لنا الوقت الذى نشأت فيه هذه المواد ، وعلى ذلك فإن هذا العالم المادى لابد أن يكون مخلوقاً، وهو منذ أن خُلِقَ يخضع لقوانين وسنن كونية محددة ، ليس لعنصر المصادفة بينها مكان »[1].

والمقدمة الثانية : وهى كل مخلوق له خالق ، قضية بدهية ، لاتحتاج إلى دليل، وهى مركوزة فى فطرة الإنسان.

إنه إذا وقعت حادثة لم يُدْرَ فاعلها قيل : إن الفاعل مجهول ، ولم يقل أحد قط : إنه ليس لها فاعل ، فكيف يراد من العقلاء أن يقطعوا الصلة بين العالم وربه ؟.

إننا لم نكن شيئاً ، فكنا ، فمن كوننا ؟

(قل الله . ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون)[2].

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ص ٢٥

(٢) عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالى ص ٢١

وهذه القضية : (كل مخلوق له خالق) لاتطبق على الله فلايقال : من خلق الله ؟ لأن الله ليس مخلوقاً. فالشئ إما أن يكون خالقاً أو مخلوقاً ، فإن ثبت أنه مخلوق استحال أن يكون خالقاً ، وإذا أثبت أنه الخالق ، استحال أن يكون مخلوقاً.

ونقف قليلاً مع نظرية (النشوء والارتقاء) لداروين تلك النظرية التى يدرسها طلبة الجامعات ، والمرحلة الثانوية (قسم العلوم) بوزارة التربية والتعليم ، ومعاهد الأزهر ، يدرسها الطلبة (إجبارياً) ضمن منهج (الأحياء) ويطبع من الكتاب المقرر الذى يحويها آلاف النسخ فى كل عام[1].

وهى تتعارض مع الإسلام الذى قال بالخلق المباشر للموجودات ، ووجود خالق ، عالم ، مريد ، قادر ؛ إذ يرى أصحاب هذه النظرية : أن الأنواع والأجناس قد نشأ بعضها عن بعض بطريق التطور والارتقاء من البسيط إلى المعقد ، وبقانون الانتخاب الطبيعى ، والبقاء للأصلح ، والوراثة ، حتى وصل التطور إلى (القرد) ومن القرد إلى الإنسان مع وجود حلقة مفقودة بين القرد والإنسان ، ويرون أن ظاهرة الحياة قد نشأت فى المادة فى البداية بطريق الصدفة!!.

ونسارع فنقول : إن هذه ليست نظرية ، إنما هى فرض لم تثبت صحته ؛ فلم يستطع صاحب الفرض ، ولاأتباعه التدليل على صحته بأدلة علمية ، وبراهين صحيحة مقنعة .

---

(١) انظر : التاريخ الطبيعى للصف الثالث الثانوى ص ١٦٠- ١٨٣ ط سنة ١٩٧٦م . وقد لاحظت وجود نقد يسير فى الطبعات الأخيرة . انظر طبعة سنة ١٩٩٥ ص ٢٠٢.

ونقول لهم : يلزم على دعوى الاتحاد : إما أن ينقلب الحادث قديماً ، أو القديم حادثاً ، أو يبقى كل منهما على حاله ، ومن المحال أن ينقلب الحادث قديماً ، أو القديم حادثاً ، فإن هذا قلب للحقائق ، وإن بقى كل منهما على حاله ، فأين الاتحاد ؟

ونقول لهم : إن اتحاد اللاهوت بالناسوت . إما أن يكون كمالاً ، أو نقصاً: فإن قالوا : إنه نقص . فقد وصفوه تعالى بالنقص ، وهو منزه عنه.

وإن قالوا : إنه كمال ، يلزم أن يكون الاتحاد موجوداً فى الأزل مع أن الناسوت حادث . وهم معترفون بذلك . فهم يقولون إنه ابن مريم حملته وولدته. أو يلزم خلو الله تعالى عن هذا الكمال حتى ميلاد الناسوت الذى كمل به . تعالى الله عما يقولون.

لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة . وهو قول النصارى القائلين بالأقانيم الثلاثة فقد (جاء فى الرسالة الأولى ليوحنا الرسول بالإصحاح الخامس والعدد ٧و٨ « فإن الذين يشهدون فى السماء هم : الأب ، والكلمة، والروح، والماء ، والدم ، والثلاثة هم واحد »).

هذا صريح فى عقيدة التثليث . فبِمَ سشهد الثالوث الأول ، والثالوث الثانى؟ وما هذا الثالوث الثانى ؟ وما الفرق بين الاثنين ؟ بأيهما نؤمن ؟ وكيف نستسيغ أن الأب ، والابن ، والروح القدس ، والماء ، والدم يشهدون؟ وما معنى أن الثلاثة هم واحد ، أو فى الواحد ، أو بالعكس ؟ إن هذا لشئ عجاب[1].

(١) التفسير الواضح ٧٥/٦ وانظر:شرح المقاصد ٥١/٢ والتمهيد للباقلانى ص٧٩ وشرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص٢٦١

ونقول لهم : لو وجدت فى ذات الله تعالى ثلاثة أقانيم - أصول - تمتاز بامتياز حقيقى - كما ترعمون - للزم أن يكون كل منهما إلهاً بذاته ، مع كون كل منها مفتقراً إلى غيره ، وإلا ما تألفت منها ذات واحدة ، فإذا ثبت التركيب، ثبت الافتقار ، والافتقار نقص ، ينافى الألوهية ، كما أن الامتياز يناقض الافتقار.

ونقول لهم : هل هذه الأقانيم التى تدَّعون تركب الإله منها ذوات أوصفات؟ فإن قالوا : ذوات ، لزم وجود ثلاثة آلهة لاواحد . وقولهم : لايلزم، فإنها كالشمس ذات أجزاء ثلاثة : الحرارة ، والضياء ، والجرم الذى هو الأصل ، ومع ذلك فهى واحدة . قولهم هذ باطل ؛ لأن ثلاثة الشمس ليست كلها ذوات ؛ لأن الحرارة والضياء عرضان بخلاف الثلاثة التى معنا . والتى فرضنا أنها ذوات.

وإن قالوا : إنها صفات . فلِمَ خُصَّت هذه الصفات الثلاثة بالذات بجعلها إلهاً دون باقى الصفات ؟ وكيف يعقل أن تكون الصفات إلهاً وحدها . أو مع الذوات ؟

هذا قليل من كثير يمكن أن يُوجَّه إليهم رداً على عقائدهم الباطلة. ولذلك هدَّدهم الله تعالى بأنهم إن لم ينتهوا عن هذا الضلال ليمسَّنَّ الذين كفروا منهم عذاب أليم . وتعجَّبَ من إصرارهم على القول بالاتحاد والحلول . وكان الواجب أن يتوبوا إلى الله ، ويستغفروه ، فالله غفور رحيم.

فحقيقة عيسى أنه رسول كسائر الرسل ، وأمه صِدِّيقة .كسائر النساء. صدَّقت عيسى فيما جاء به ، وعيسى وأمه كانا يأكلان الطعام . ويحتاجان إليه كسائر البشر ، ويذهبان إلى الخلاء ، ليقضيا حاجتهما ، كسائر الناس ، ومن يحتاج إلى (دورات المياه) لايصلح للألوهية .

تعريف صفة الإرادة الإلهية:

هى صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى يُخصص بها الممكنات ببعض ما يجوز عليها من الأمور المتقابلة . والإرادة والمشيئة بمعنى واحد.

فهى من نوع الصفات الوجودية الذاتية القديمة التى تقوم بذات الحق سبحانه، وتدل على معنى زائد على معنى ذاته تعالى .

وإذا كان علم الله تعالى صفة انكشاف ، فإن إرادته صفة تخصيص ، فهى تخصص الممكن - وهذا مجال عملها - بالوجود أو العدم ، وبالصفات المعينة الخاصة به ، وبالزمن المحدد له . وبالمكان المخصص له ، وبالجهة المحددة له ، وبالمقدار المعين الذى سيوجد عليه.

وهكذا كل ما وجد فى العالم من مخلوقات ، وما يوجد الآن ، وماسيوجد بعد ذلك.

فالإرادة الإلهية هى التى ترجح الاحتمال الذى سيوجد عليه المخلوق من بين سائر الاحتمالات الأخرى التى يتصور أن يوجد عليها من الأمور المتقابلة التى جمعها أحدهم فى قوله:

الممكنات المتقابلات وجودنا والعدم والصفات
أزمنة أمكنة جهات كذا المقادير روى الثقات

ولا شأن للإرادة بالأمر الواجب ، أو الأمر الممتنع . وبيان ذلك:

١- لو تعلقت بالأمر الواجب عقلاً ، فإما لترجيح وجوده ، أو لترجيح عدمه، أما ترجيح وجوده ، فهو محال ؛ لأنه موجود بالفعل ، فكيف ترجح وجوده ؟ إنه تحصيل حاصل . وأما ترجيح عدمه ، فالواجب العقلى غير قابل للعدم.

٢- كذلك لاتتعلق إرادته تعالى بالأمر الممتنع عقلاً ؛ لأنها لو تعلقت به ، فإما لترجيح وجوده ، وهو غير قابل للوجود ، وإما لترجيح عدمه ، وعدمه حاصل.

إذن لاتتعلق الإرادة بالواجب ، ولا بالمستحيل، بل بالأمر الممكن الوجود فقط.

ومعنى الإرادة الإلهية يختلف عن معنى الإرادة البشرية ، فإن معنى إرادتنا للشئ: القصد ، والعزم ، والتصميم على فعله ، وهذاالمعنى حادث لايتناسب مع الله جل فى علاه.

كما أن إرادته تعالى وفعله متلازمان . بمعنى أنه تعالى إذا أراد أن يفعل فعل، وما فعله فقد أراده ، بخلاف العبد ، فانه يريد مالا يفعل ، وقد يفعل مالايريده، فلايوجد فعَّال لما يريد إلا الله وحده.

وللإرادة الإلهية بالممكن تعلقان:

١- تعلق صلوحى قديم : وهو صلاحيتها فى الأزل لتخصيص كل ممكن بأى أمر من الأمور الجائزة عليه.

٢- تعلق تنجيزى قديم : وهو تخصيص الإرادة فى الأزل كل ممكن ببعض ما يجوز عليه بدل البعض الآخر.

إرادته تعالى تشمل الخير والشر:

أولاً : **مذهب أهل السنة** : إن إرادة الله عامة تشمل الخير والشر ، والطاعة والمعصية.

واستدلوا على ذلك بما يلى:

١- الآيات القرآنية تصرِّح بذلك . ومنها:

أما الدليل العقلى على اتصافه تعالى بصفة الحياة فهو : أنه تعالى ثبت أنه متصف بالعلم ، والإرادة ، والقدرة ، وكل من اتصف بهذه الصفات فهو حى.

فمن المسَلَّم عقلاً أن الميت لايكون عالماً قادراً.

ومن أين هذه الحياة التى نراها فى العالم إن لم تكن هبة من الحى الذى لا يموت؟

٥- صفة السمع

سمع الله صفة من صفاته الوجودية الأزلية القائمة بذاته تعالى ، تنكشف بها له جميع الأصوات الموجودات انكشافاً تاماً يغاير الانكشاف بصفتى العلم والبصر ، ليست بأذن أو آلة ، كسمع المخلوقات تعالى الله عن ذلك .

إنه يسمع كل شئ فى هذا الوجود.

إنه يسمع دعوات عباده ، وتضرعهم إليه ، ولايشغله نداء عن نداء ، ولاتمنعه إجابة دعاء عن دعاء ، وتأمل ما يكون يوم عرفة قبيل الغروب من ضيوف الرحمن، وما يكون حول بيت الله الحرام .

وصفة السمع غير صفة العلم . قال تعالى : ﴿وهو السميع العليم﴾ فلو كان السمع هو العلم ، لكان تكراراً ، لافائدة فيه .

وعندما أرسل الله موسى وهارون قال لهما:﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ طه/٤٦

وقال عن المشركين الذين يكيدون لحبيبه المصطفى ﷺ : ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ الزخرف

وعندما جاءت (خولة بنت ثعلبة) تجادل رسول الله ﷺ فى شأنها نزل قوله تعالى : ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ المجادلة

قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : « الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات . لقد جاءت المجادلة إلى رسول الله ﷺ فى جانب البيت تحدِّثه ، ماأسمع ماتقول » ولكن الله سمع قولها .

ولما رأى الرسول ﷺ أصحابه يرفعون أصواتهم بالتكبير ، أشفق عليهم ، ودنا منهم وقال : « أربَعُوا على أن أنفسكم . إنكم ليس تدعون أصم ، ولاغائباً . إنكم تدعون سميعاً قريباً »[١].

لا تسألنَّ بنى آدمَ حاجةً وسَلِ الذى أبوابهُ لاتُحجبُ
الله يغضبُ إن تركت سؤالَه وبُنَىِّ آدمَ حينَ يُسألُ يغضبُ

والدليل العقلى على اتصافه بالسمع : أنه لو لم يتصف بالسمع ، لاتصف بضده ، وهو الصمم ، والصمم نقص ، وهو على الإله محال .

كما أن فى المخلوقات نعمة السمع ، وهى هبة من الله تعالى ، ولايعقل أن يكون واهبها فاقداً لها . فلو لم يكن سميعاً ، لكان فى المخلوقات ماهو أكمل من خالقها . وهذا محال.

(١) رواه مسلم فى الذكر والدعاء ٢٠٧٦/٤

٦- صفـــــــة البصـــــــر

هى صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى تنكشف بها له جميع المشاهدات.

وهى ليست بجارحة وحاسية ، كبصر المخلوقات ؛ لأن الله منزه عن ذلك.

وهى صفة تعم جميع المخلوقات ، ولذلك قيل : إذا عصيت مولاك ، فاعصه فى موضع لايراك .

ومن أسمائه الحسنى : (البصير) وهو الذى يشاهد ويرى ، حتى لايغيب عنه ماتحت الثرى.

تعلق السمع والبصر:

وسمعُ الله وبصره يتعلقان بالأمر الموجود فقط ، سواء كان واجباً أو ممكناً، ولايتعلقان بالمعدوم سواء كان مستحيلاً أو ممكناً ، وللسمع والبصر تعلقات ثلاثة :

أ- تعلق صلوحى قديم : وهو صلاحية السمع والبصر فى الأزل للتعلق بما سيوجد من الممكنات.

ب- تعلق تنجيزى قديم : وهو تعلقهما أزلاً بذات الله وصفاته تعلق انكشاف .

جـ- تعلق تنجيزى حادث : وهو تعلقهما فعلاً بالممكنات بعد وجودها تعلق إحاطة وانكشاف.

الدليل على صفة البصر : قال تعالى : ﴿ إن الله سميع بصير ﴾.

وقال سبحانه :﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ العلق

وقال ﷺ « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك».

وقد عاب خليل الله إبراهيم على الأصنام أنها لاتسمع ولاتبصر ، فلاتصلح للعبادة ، ولا للألوهية . فقال لأبيه:﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ مريم ، وقال لقومه عباد الأصنام : ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ الشعراء .

الدليل العقلى : أنه تعالى لو لم يتصف بالبصر ، لاتصف بضده ، وهو العمى ، وهو نقص على الله محال .

والبصر كمال ، وكل كمال الله أولى أن يتصف به ، ولايعقل أن يكون واهب البصر للمخلوقات فاقداً له ، وإلا كان المخلوق أكمل من الخالق وهو محال.

وأجمعت الأمة على اتصافه تعالى بصفتى السمع والبصر .

يامَنْ يرى مَدَّ البعوضِ جناحَهُ فى ظلمةِ الليلِ البهيم الأليلِ

ويرى نياط عروقِها فى نحرِها والمخَّ فى تلك العظامِ النُّحَّلِ

ويرى ويسمعُ مايرى ما دونَها فى قاعِ بحرٍ زاخرٍ متُجَندلِ

٧- صفـــــــة الكـــــــلام

لحظات تأمل :

إنَّ الله تعالى خلق الأرض ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ فصلت.

ولا أريد أن أعرض لمذهب كل فرقة وأدلتها ، فهذا أمر يطول جداً ، ويُرهق إلى أقصى درجة ؛ لكنى أريد أن أنبه إلى أمر مهم بعد أن أيقنا بثبوت هذه الصفة لله ، وهو ضرورة التفرقة بين ما يقوم بذاته تعالى من هذه الصفة ، وبين ما يقوم بذواتنا نحن.

إننا عندما نقرأ أو نكتب أو نسمع كلام الله لابد أن نفرق بين هذين الأمرين.

وقد أشرنا فى المقدمة إلى دور أعداء الإسلام فى ظهور مشكلة خلق القرآن فى البيئة الإسلامية . وقد تورط فيها بعض الخلفاء ، وما كان ينبغى لهم أن يفرضوا رأياً فكرياً على جميع العلماء والمفكرين ، ولا أن يمتحنوهم للتأكد من موقفهم من هذه القضية التى ما أثارها رسول الله ﷺ ولا أصحابه رضى الله عنهم .

وبسبب هذا البلاء خرج الإمام البخارى فاراً . وقال : اللهم اقبضنى إليك غير مفتون . فمات بعد أربعة أيام .

وسُجن (عيسى بن دينار)ت ٢١٢هـ فقيه الأندلس فى عصره عشرين سنة.

وسئل الإمام (الشعبى) ت ١٠٣هـ عنها فقال : أما التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والفرقان ، فهذه الأربعة حادثة . وأشار إلى أصابعه ، فكانت سبب نجاته.

واشتهر هذا الجواب عن الإمام الشافعى رضى الله عنه .

وحُبس الإمام (أحمد بن حنبل) وضُرب بالسياط حتى غُشى عليه. ويذكر أن النبى ﷺ قال للإمام الشافعى فى المنام : بشِّر أحمد بالجنة على بلوى تصيبه فى خلق القرآن ، فأرسل له كتاباً ببغداد . فلما قرأه بكى . ودفع

للرسول قميصه الذى على جسده ، وكان عليه قميصان ، فلما وصل إلى الشافعى غسله ، وادَّهن بمائه . تبركاً به ، وطلباً للشفاء من الله.

وقد قال الإمام البيضاوى — وهو من هو — عن صفة الكلام : « والإطناب فى ذلك قليل الجدوى ؛ فإن كنه ذاته وصفاته محجوب عن نظر العقول »(١).

ويكفينا أن نثبت لله تعالى هذه الصفة المباركة صفة الكلام ؛ لأنها صفة كمال. لايمكن أن يخلو عنها الإله الحق ، ألا ترى أنه ردَّ على عُبَّاد العجل بأنه لايتكلم، وهذا نقص . فلا يصلح أن يكون إلهاً . قال تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ الأعراف/ ١٤٨ ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾ طه

(١) متن الطوالع ص٧٩

للرسول قميصه الذى على جسده ، وكان عليه قميصان ، فلما وصل ... الشافعى غسله ، وادَّهن بمائه . تبركاً به ، وطلباً للشفاء من الله.

وقد قال الإمام البيضاوى — وهو من هو — عن صفة الكلام : ... والإطناب فى ذلك قليل الجدوى ؛ فإن كنه ذاته وصفاته محجوب عن ... العقول »[1].

ويكفينا أن نثبت لله تعالى هذه الصفة المباركة صفة الكلام ؛ لأنها صفة كمال. لايمكن أن يخلو عنها الإله الحق ، ألا ترى أنه ردَّ على عُبَّاد العجل بأن ... لايتكلم، وهذا نقص . فلا يصلح أن يكون إلهاً . قال تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ الأعراف/ ١٤٨ ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾ طه

[1] متن الطوالع ص٧٩

الفهـــــــرس

الموضـــــــوع	الصفحة
المقدمة	٣
الفصل الأول : ضرورة الدين للإنسان	٥ - ١٦
هل يصلح العقل بديلاً عن الدين	١٣
الفصل الثانى : حول علم التوحيد	١٧ - ٣٦
تعريف علم التوحيد وموضوعه وأسماؤه	١٧
نشأة علم التوحيد والفرق الإسلامية	٢٠
الفصل الثالث : الإيمان والإسلام	٣٧ - ٥١
مقدمة	٣٧
تعريف الايمان عند أهل السنة	٣٧
الفهم الصحيح لمذهب السلف	٤٤
المخالفون لأهل السنة	٤٥
معنى الإسلام	٤٦
من علامات الإيمان	٥٠
الفصل الرابع : الكفر والإكفار	٥٢ - ٦٢
معنى الكفر لغة وشرعاً	٥٢
الكفر الأكبر والأصغر	٥٣
الشرك الأكبر والأصغر	٥٦
النفاق الأكبر والأصغر	٥٧
الفسق الأكبر والأصغر	٥٨
قضية التكفير	٥٩